نظرة تداولية في الخطبة الشقشقية
(الإشاريات)

المدرس الدكتور
عايد محمد عبد الله الفتلي
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

نظرة تداولية في الخطبة الشقشقية (الإشاريات)

A deliberative view of the Shaqqshaqia Sermon (The Signs)

المدرس الدكتور
عايد محمد عبد الله الفتلي
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

Dr. Aaied Mohammed Abdullah Al-Fatly
Al-Qadisiyah University - College of Arts

ملخص البحث

يعد البحث تطبيقا للتداولية في بعدها الإشاري في الخطبة الشقشقية، ويتناول معنى التداولية، وتعريفها، والإشاريات وتفريعاتها: الشخصية، والمكانية، والزمانية، والاجتماعية، والخطابية، وبين مصادر الخطبة، ومناسبة قولها. تناول البحث الإشاريات الشخصية، وهي: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، والنداء، والإشاريات المكانية، والزمانية، وأسماء الإشارة الواردة في الخطبة.

وخرج بنتائج منها:

أن الخطبة لم تكن من على منبر، بل هي حديث في جلسة تضم مجموعة من الحضور أراد من خلالها إرسال رسالة للإمة في وقته، ومستقبلا، وهي بالتعبير الحديث: كلمة قيلت في جلسة موسعة.

أوضح الإمام (ع) ما كان يعانيه من ألم لما فعله الذين تولوا الأمر من قبله، أنهم لم يضعوا الحق في نصابه.

Research Summary

The research is an application of deliberative in its alludative dimension in the Shaqshaqi sermon, and deals with the meaning of deliberative, its definition, allusions , their ramifications: personal, spatial, temporal, social, discursive, and between the sources of the sermon, and the appropriateness of saying it.The research dealt with personal signs, namely: the first person pronoun, the second person pronoun, the third person pronoun, the call, spatial and temporal

and it is in the modern expression: a word that was said in an expanded session.The Imam (PBUH) explained what he was suffering from the pain of what those who took over the matter before him did, that they did not put the right thing in perspective.

signs, and the names of the signs mentioned in the sermon.

And he came up with results including: That the sermon was not from a pulpit, but rather it was a speech in a session that included a group of attendees, through which he wanted to send a message to the nation in his time and in the future,

المقدمة

حظيت (الخطبة الشقشقية) بدراسات كثيرة، غير أنها من الاكتناز، وعمق الدلالات ما يجعلها مجالا لدراسات أخرى. وإذا كانت الدراسات السابقة قد توقفت عند أساليبها، وجمالياتها، فإن هذا البحث المتواضع سيعالجها في ضوء (التداولية) لا سيما في بعدها (الإشاري)، لقد تمَّ تقسيم البحث على أساس من هذه (الإشاريات): الإشاريات الشخصية، والإشاريات المكانية، والإشاريات الزمانية، وأسماء الإشارة.

وركز البحث على الإشاريات الشخصية، والمكانية، والزمانية في الخطبة؛ لأنها موجودة في أي خطاب، وتطرق إلى الإشارات الاجتماعية التي وردت في الخطبة، أما الخطابية فيمكن أن يخلو منها الخطاب.

وسبق ذلك بيان أهمية الخطبة، والنظر في مصادرها، بغير أن يغفل ما يوضّح المقصود بـ(التداولية) ومنحاها في الدرس اللغوي، مستفيدا مما سبق من دراسات في هذا المجال.

ومن الله التوفيق

التداولية لغة واصطلاحا

في البدء علينا التعرف على (التداولية) بوصفها منهجا جديدا في دراسة اللغة، تتمّ قراءة النصوص في ضوئها.

التداولية لغة

قال ابن فارس:" (دَوَلَ) الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا."[1]، وقد وردت في القرآن الكريم الإشارة إلى توزيع الأموال على الفئات المذكورة في الآية الكريمة والسبب:{ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}الحشر:٧؛ فلا

يكون المال محصورا بين الأغنياء (الرؤساء) منكم، هم فقط الذين يتداولونه (يتبادلونه بينهم)، كما كان يفعل في الجاهلية[٢].

وقال الزمخشري: "والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم.... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما."[٣]

التداولية اصطلاحا

ما يواجهنا في وضع تعريف محدد وواضح للتداولية هو ترجمة مصطلح (Pragmatism) إذ ترجم إلى: البراغماتية والنفعية والذرائعية، وكل منها يمكن أن يرتبط بمفهوم فلسفي محدد قد لا يمت للغة بصلة، واجتهدت الباحثة خديجة بوخشة في توضيح المصطلح من الإغريقية، واللاتينية، والفلسفة الأمريكية لتعود إلى المصطلح الفرنسي[٤]؛ وكأننا ندور في حلقة مفرغة من توضيح ترجمة بالإحالة إلى ترجمة أخرى بلغة أخرى، والسبب في ذلك هو أن هذا الاتجاه في دراسة اللغة نقل إلينا عن طريق إخواننا في المغرب العربي، وهم يستعملون الفرنسية لغة ثانية في استعمالهم اليومي وكتاباتهم؛ لذلك كان معنى المصطلح واضحا في أذهانهم، وغير واضح تماما لدينا.ظهرت عدة تعريفات للتداولية ربطها واضعوها كل بمجال اهتمامه أو نظرته إليها[٥]، فمنهم من ربطها بالإشارية (السيميائية):" تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها "[٦]، ومنهم من ربطها بالخطاب: " دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية"[٧]، ومنهم من ربطها بالسياق: "المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها"[٨]، وجمعها فرانسيس جاك بتعريفه: "التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً"[٩]، وهذه الوفرة والتنوع في التعريفات يشير إلى العناية الكبيرة بهذا المجال في الدراسة اللغوية فهو يدرس اللغة بأشكال مختلفة بوصفها وسيلة للتواصل، وأداة للتأثير، ووصفًا للعالم، من خلال حالة المنشئ النفسية، والاجتماعية، وقدرته على استعمال اللغة، وحالة المتلقي كذلك، ومستوى فهمه لما يتلقى. كل هذا مرتبط بإشارات، وإحالات لغوية، وزمانية، ومكانية، قد لا تشير بشكل مباشر للمعنى، وقد يعني المتكلم أشياء كثيرة لا يوردها في كلامه، فهي ربط بين الاستعمال الصحيح الفصيح للغة: تركيبا، ودلالةً، وبلاغةً وهي مجالات متعددة، من الصعوبة جمعها ودراستها في سياق واحد، وهو ما تحاول التداولية فعله.

مصادر الخطبة:

لو تتبعنا المصادر القديمة بحسب وفيات أصحابها، لوجدنا ذكر مقطع من الخطبة، في (الزاهر في معاني كلمات الناس) لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[١٠]، ومقاطع في (الانتصار للقرآن) للباقلاني (ت ٤٠٣هـ)[١١].

وأبرز مصدر للخطبة هو كتاب (نهج البلاغة)، الذي جمع فيه الشريف الرضي(ت ٤٠٦هـ)مجموعة من خطب الإمام علي – عليه السلام – وأقواله، ورسائله [١٢].

تعرض هذا الكتاب، ويتعرض إلى محاولات ردُّ نسبته إلى الإمام عليعليه السلام، والقول: بأنها من مبتدعات الشريف الرضي [١٣]،، ولعل أساس هذه المحاولات في دفعه عن الإمامعليه السلام هو: ورود الخطبة الشقشقية فيه، وهذا ما صرح به الدكتور الشيخ احمد الوائلي في احدى خطبه[١٤]؛ لأن الخطبة توضح بشكل لا يقبل الشك، أو التخمين موقف الإمام عليعليه السلام من شكل الحكم في الدولة الإسلامية، وما حدث بعد الرسول الكريمصلى الله عليه وآله، وموقفه من الخلفاء الذين سبقوه، ولعل من الاختصار المفيد الإحالة على ما كتبه الشيخ علي الكوراني على شبكة المعلومات العالمية[١٥].

ونضيف ورودها في كتاب (نثر الدر) للآبي(ت٤٢١هـ)[١٦]، وشرح الشريف المرتضى(ت ٤٣٦هـ) في رسائله[١٧]، والإشارة إليها في كل من (مجمع الأمثال) للميداني(ت ٥١٨هـ)[١٨] ، (النهاية في غريب الحديث والأثر) والأثر) لابن الأثير(ت ٦٠٦هـ)[١٩] و(تحرير التحبير) لابن أبي الاصبع العدواني (ت٦٥٤هـ)[٢٠]، وذكرها ابن السبط الجوزي(ت٦٥٤هـ) في (تذكرة الخواص)[٢١]، وشرح بعض ألفاظها يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٥هـ) في كتابه (الطراز)[٢٢]، فضلا عن إشارة بعض أصحاب المعاجم إليها[٢٣]. الشيء الذي يبطل ادعاء من حاول نكران نسبة ما ورد في (نهج البلاغة) للإمام عليعليه السلام؛ بسبب هذه الخطبة.

مناسبة الخطبة

لم يذكر ناقلو الخطبة وشّراحها مناسبة لإلقائها، وإنّما يذكرون ما ذكر الشريف الرضي: "ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية "[٢٤]، وذكر سبط بن الجوزي" وقد أنبأنا بها شيخنا أبو القاسم بن النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس قال: لما بويع أمير المؤمنين بالخلافة ناداه رجل من الصف وهو على المنبر ما الذي أبطأ بك إلى الآن فقال: – بديهاً– والله لقد تقمصها.."[٢٥]

ولكن هذه الرواية لا يمكنها الصمود أمام ما جاء في نص الخطبة، وهو قول الإمامعليه السلام:" فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ "[٢٦]، فهذا نص صريح بأن زمن الخطبة بعد مدة من توليه الخلافة، وبعد أن حارب الناكثين، والمارقين، والقاسطين، فهي إلى نهاية خلافته أقرب من بدايتها، فضلا عن أن حاكما يتولى أمور دولته حديثا، ليس من المنطقي أن ينتقد من سبقه مثل هذا النقد من على المنبر، وعهدهم قريب، ومريدوهم كثر، ولم يُختبر حكمه بعد، إلا أن يكون توليه الحكم بعد ثورة هو قائدها، وهذا لم يكن بحسب نص الخطبة:" فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ

عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ."[٢٧]، وبحسب نقل التأريخ[٢٨].

ويذكر الراوندي سند رواية الخطبة بقوله: " أما الرواية للخطبة: فعن الشيخ أبي نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم بن اليونارتي، عن الحاجب أبي الوفا محمد بن بديع و أبي الحسين احمد بن عبد الرحمن الذكواني، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الاصبهاني، عن سليمان بن احمد الطبراني، أخبرنا احمد بن علي الأبّار، أخبرنا اسحق بن سعيد أبو سلمة الدمشقي، أخبرنا خليد بن دعلج، عن عطا بن أبي رباح، عن ابن عباس: كنا مع علي عليه السلام بالرحبة، فجرى ذكر الخلافة، ومن تقدم عليه فيها، فقال : أما و اللّه لقد تقمصها فلان. إلى آخره"[٢٩]، وهذه الرواية – فضلا عن أنها وثقت سند الخطبة – فهي توضح بشكل لا يقبل اللبس أن الخطبة ليست بخطبة قالها الإمام عليه السلام من على منبر، بل كانت حديثا في جماعة من الناس، يمكن أن نطلق عليهم مصطلح (خواص العوام)، فهي لم تكن للعامة مطلقا، ولم تكن للخاصة حصرا، بل يمكن أن يقال عنها – في المصطلح الحديث – إنها قيلت في (جلسة موسعة).

والدليل على ذلك نهايتها المعروفة[٣٠]، فليس من المنطقي قيام أحد الحاضرين بمناولة الإمام عليه السلام كتابا، وهو على المنبر، والمنطقي أن ينتظره حتى ينتهي من خطبته، وينزل عن منبره، وكذلك طلب ابن عباس من الإمام عليه السلام الإفاضة في الحديث، فلو كان على منبر؛ لما صحّ منه ذلك.

وما يدلّ على ذلك كذلك أنها جاءت في سياق ذكر الخلافة، والخلفاء، كما توضح الرواية، وكانت الخطبة موقف الإمام علي عليه السلام مما ذكر في الحديث عنهم، وبداية الخطبة خير دليل على أنها رد على كلام سابق لها، وهو أن الضمير في (تقمصها) وما بعدها من الكلمات مثل(منها) و(دونها) لا عائد له في النص، فهو يتحدث عن مذكور خارج النص.

وبداية الخطبة بالقسم – وهو أعلى المؤكدات – فضلا عن تكرار المؤكدات فيها يدل على أن الخطبة قيلت في مجموعة من الناس منهم منكر، أو مكذب لما يقوله الإمام عليه السلام؛ لذلك أبى معظمهم نقلها، ولم نجد لها راويا سوى ابن عباس.

وهذا ما تحاول التداولية دراسته، وهو العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وأحوال كل منهما النفسية، والاجتماعية، والذهنية، والثقافية، وغيرها، وكيف يؤثر المتكلم في المخاطب.

الإشاريات

تطلق الإشاريات في اللسانيات على مجموعة من الألفاظ التي ترد في الخطاب ولكنها مبهمة، لا يتضح معناها إلا من خلال السياق؛ " لأنها خالية من أي معنى بذاتها "[٣١]، ومنها أسماء

الإشارة، والضمائر، والظروف الزمانية والمكانية، وهي وإن كانت تشير إلى مرجع ولكن مرجعها غير ثابت، غير أنها تؤدي شيئين مهمين في الخطاب وهما: الدور النحوي، والوظيفة الدلالية[٣٢].

إنّ تسمية الإشاريات إنما جاءت؛ لأنها تشير إلى شيء محدد، فضمير المتكلم، وضمير المخاطب يشيران إلى شخص، وضمير الغائب يمكن أن يشير إلى شخص، أو شيء مادي، أو معنوي[٣٣]، وأسماء الإشارة تشير إلى شيء معين، كما يشير ظرفا المكان، والزمان إلى مكان، وزمان محددين، "ويلفت ولفنسون إلى أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنّا ما تشير إليه فيسود الغموض، ويستغلق الفهم"[٣٤].

وقد لا تكون هذه الإشاريات حاضرة واضحة في النص، بل قد تكون غير موجودة، ولكن البنية العميقة للمعنى تتضمنها، فقولنا:(قام محمد) يتضمّن أن القيام حدث في الزمن الماضي، أي أن الفعل أشار بزمنه إلى الماضي، كذلك قولنا:(أصبرُ على الأمر) فالفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره (أنا) يشير فيه المتكلم إلى نفسه، وهذه الإشاريات وغيرها غير ظاهرة في النص، ولكنها موجودة في البنية العميقة لمعنى النص[٣٥].

يتفق الباحثون على أن أنواع الإشاريات ثلاثة هي:

إشاريات شخصية، و إشاريات زمانية، و إشاريات مكانية، فلا يخلو أي خطاب من (الأنا، والهنا، والآن)؛ وأضاف آخرون الإشاريات الاجتماعية، والإشاريات الخطابية[٣٦].

فالإشاريات الاجتماعية هي الألفاظ التي تدل على التقدير الاجتماعي مثل: ألفاظ التبجيل، أو ألفاظ التحقير، وكذلك الألفاظ التي تدل على احترام، أو التعامل الرسمي، أو ما يتداول بين الأصدقاء من تحيات، ومجاملات، فهي تشير إلى المكانة الاجتماعية، للمتكلم، والمخاطب[٣٧]، ومناسبة الكلام.

أما الإشاريات الخطابية فهي تشير إلى الخطاب، فقد يتكلم المتحدث عن شيء ثم يقول: (ولكن تلك قصة أخرى)، وهي تستعير إشاريات الزمان، وإشاريات المكان، كالاسبوع الماضي، والفصل السابق من الكتاب، وكذلك الإضراب بـ(بل) والاستدراك بـ(لكن) جميعها تؤدي الإشارة إلى خطاب بعيد أو قريب ضمن النص، أو خارجه ،" على أن هذا التمييز بين إشاريات النص، والإحالة إلى عنصر ليس حاسما، ذلك بأن الإحالة في قصاراها ضرب من إشاريات النص، أو هي أساس له."[٣٨]

تتلاقى الإشاريات والإحالة في أشياء مهمة، وهي أن الإشاريات يمكن أن تشير إلى داخل النص، وفي الإحالة كذلك يمكن الإحالة إلى داخل

النص، والإشاريات يمكنها الإشارة إلى ما هو خارج اللغة، أو خارج النص، وكذلك الإحالة، وبعض العناصر الإشارية هي بعض العناصر الإحالية نفسها؛ " ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري، والعنصر الإحالي في المرجع."[٣٩]

وتعرف الإحالة بأنها:" علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل"[٤٠].

الإشاريات في الخطبة الشقشقية

ويمكن الآن أن نتوقف عند أنواع الإشاريات الواردة في الخطبة الشقشقية على النحو الآتي:

أولا– الإشاريات الشخصية

تعد الضمائر أوضح العناصر الإشارية الشخصية، فهي تشير إلى شخص محدد لاسيما ضميري المتكلم، والمخاطب، فمرجعهما ثابت واضح باعتبار الحضور العيني، غير أن ضمير الغائب، لا مرجع محددا له، إلا من خلال السياق، ويمكن أن يشير إلى شخص، أو أي شيء، " فأعرَفُ المضمرات المتكلِّمُ؛ لأنّه لا يُوَهِّمك غيرَه، ثمّ المخاطبُ، والمخاطبُ تِلْوُ المتكلّم في الحضور والمشاهَدةِ. وأضعفُها تعريفًا كنايةُ الغائب، لأنّه يكون كناية عن معرفةٍ ونكرةٍ حتّى قال بعضُ النحويّين: كنايةُ النكرة نكرةٌ."[٤١]، ويضاف إليها النداء؛ لأنه يشير إلى مخاطب، بعينه[٤٢].

أ– ضمير المتكلم

ورد ضمير المتكلم في الخطبة تسعا وعشرين مرة، فاعلا، ونائبا له، ومفعولا، ومضافا، ومجرورا بحرف الجر، ومتصلا، ومستترا، ولم يأت منفصلا؛ وسنعرض لما ورد منها في الخطبة.

قال الإمام علي(عليه السلام):" أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فلانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ "[٤٣]، نلاحظ ورود ضمير المتكلم، مضافا في (محلي) ومجرورا في (عني) و(إلي)، والمتكلم يريد إثبات قضية مهمة وهو أحقيته بأمرٍ أُخِذَ منه، وهو حقه، بدأ بـ(أما) الاستفتاحية التي يكثر ورودها قبل القسم، وبعد ذلك القسم، وبعده (لقد) الداخلة على الفعل الماضي بما يفيد التحقيق، وجاء بعدها (إن) التوكيدية، مع دخول لام التوكيد (اللام المنزلقة) في خبرها، وخبرها جملة فعلية فعلها ينصب مفعولين سد مسدهما جملة بـ(أن) التوكيدية، وبحساب بسيط لعدد المؤكدات الواردة في الجمل السابقة لذكر الكلمة التي ورد فيها ضمير المتكلم نجدها ستة مؤكدات، وكثرة المؤكدات في النص تعني أن المستمعين كانوا – كما وضحنا – اقل ما يقال عنهم: مشككون في ما يورده الخطيب إن لم نقل: مكذبون له، وهذا يوضح نوع الناس الذين

كانوا يحيطون بالإمامعليه السلام في تلك الحقبة إلا ما ندر منهم، وهم المصدقون الموالون.

ومن وجه النظر التداولية فإن في قوله السابق ما يسمى (الافتراض التداولي السابق)(٤٤)، وهو وجود شيء مهم يؤثر بشكل فاعل في حياة المسلمين، ولكن الإمامعليه السلام أُبعِد عنه مع قربه من هذا الشيء، ومكانته العالية، وعِلمُ من أخذه منه أنه الأفضل، ولكنه (تقمصه) – لبسه كالقميص – وهي دلالة على الاتصاف بالشيء المعنوي أكثر منه للشيء المادي، في التعبير الحديث يقال للممثل: تقمص الدور، أي اتصف به وعاش حياة الشخصية التي يمثلها.

ضمائر المتكلم التي وردت يشير فيها المتكلم إلى مكانته الاجتماعية وثقة عالية واعتداد بالنفس – كما يشير إلى ذلك مضمون الكلام – وهو ما تسميه التداولية بالأقوال المضمرة(٤٥).

وورد ضمير المتكلم فاعلا في قولهعليه السلام:" فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ "(٤٦) وجاء ظاهرا متصلا(التاء في سدلت وطويت، وطفقت)، ومستترا (أرتئي، وأصول، وأصبر)، فهذه الجمل تصف موقف الإمامعليه السلام مما وقع عليه، وفيها إشارة إلى ردّ فعل الإمامعليه السلام على ما وقع عليه من الظلم بأخذ حقه، "فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً" إشارة إلى أنه ترك الأمر، ولم يطالب به بسبب عدم وجود الناصر الذي يعينه على ما يريد "أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ".

قال ابن منظور" وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: أَصولُ بيدٍ جَذَّاءَ أَي مَقْطُوعَةٍ، كَنَّى بِهِ عَنْ قُصُورِ أَصحابه وَتَقَاعُدِهِمْ"(٤٧).

في التداولية يطلق على ما يقال في الكلام، وما يقصد منه بـ(الاستلزام الحواري، أو الاستلزام الخطابي أو المحادثي)، وهو يقوم على مبادئ منها (مبدأ التعاون)، وعلى وفق هذا المبدأ يقدم المخاطب معلومات للمتلقي يسد بها حاجته للتساؤل عن أسباب ما ورد في الخطاب، ومنه نفهم أن المتكلم عليه أن يجعل المتلقي يفهم من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للجملة، وهو يتغير بتغير السياق الذي يرد فيه(٤٨).

واستنادا إلى ما ورد يمكن القول إن الإمامعليه السلام كان يجيب عن سؤال مفترض يدور في خاطر سامعيه، ومفاده: لماذا لم تطالب بهذا الأمر مع زعمك أنك أحق به؟ أو ما منعك من أن تطالب بما هو حق لك؟

في حقيقة الأمر أعطى الإمامعليه السلام الجواب الذي يراه مناسبا للمقام، ولم يعط الأسباب كلها التي دفعته للخيار الآخر، وهذا الذي تصفه التداولية بـ(مبدأ التعاون)، ومنه المساهمة بالحد المطلوب من المعلومات بلا زيادة أو نقص، ويسمى (حكم الكم) (٤٩).

والخيار الثاني كان "أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ"، وكان هذا الخيار هو خيار الإمامعليه السلام

مع ما يحمل من ألم نفسي له " فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً "[٥٠]، ففي هذا المقطع من الخطبة يشير المتكلم إلى الألم النفسي الذي أصابه، ولكنه آثر مصلحة الأمة على نفسه، وهو هنا واستنادا إلى (مبدأ التعاون) يعبر عن عدم رضاه بما آلت إليه الأمور، بل يصف ما يعانيه؛ لأن ما اختاره سيكون سببا في " طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ "[٥١].

السؤال الذي يمكن أن يُثار، وهو: أين مصلحة الأمة في " طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ "، "ويقال للظلمة: طَخْيَةٌ، وطُخْيَةٌ، وطِخْيَةٌ؛ ثلاث لغات."[٥٢]، ويصفها بـ(العمياء)، في تعبير عصري: ظلمة حالكة لا تكاد ترى فيها شيئا.

نقول: إن الاختيار الأول سيجمع على الأمة أمرين هما: هذه الطخية العمياء، واقتتال لا يتوانى فيه العدو عن هتك أي محرم، وهذا ما حصل يوم الطف، ويوم الحرّة[٥٣].

والاختيار الثاني: تتلمس فيه الأُمّةُ الحَقَّ، وتُعرفُ فيه معادنُ الرجال، ويُختبرُ إيمانُها، ولا يكون هناك حجة لمن يطلب الملك، أن يقول: لو ملكتُ لفعلتُ افضل، أو لفعلتُ كما فعلوا؛ فلا فرق بيننا.

هذا الاختيار مستمر إلى أن يعود الحق لأهله، وهو اختيار مبني على قاعدة فقهية تقول: دفع المفاسد أولى من جلب المنافع[٥٤]، واستنادا إلى القاعدة نفسها، وإلى قاعدة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كان لا بدّ من أن يكون هناك داعٍ للإصلاح يقوّم اعوجاج الأمة ويذكرها بالنهج الصحيح؛ لأن تركها هملا سيزيد الطخية عمىً؛ لذلك ثار المصلحون يوم الطف، ويوم الحرّة، وغيرها من الأيام التي كانت منارات تهدي المسترشدين.

واستعمل ضمير المتكلم كذلك في سياق الإشارة إلى زهد الإمام عليه السلام في هذا الأمر الذي أُخذ منه؛ لأنه أمر تافه بالنسبة له، بل الدنيا عنده لا تساوي شيئا، ولكن ما دعاه لتولي الأمر أمور يوضحها في الخطبة.

قال الإمام عليه السلام:" فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ."[٥٥]،

قال الزبيدي:" اعْرَوْرَفَ النَّخْلُ: إذا كَثُفَ والْتَفَّ كأَنّه عُرْفُ الضَّبُعِ"[٥٦]

قال ابن منظور:" يُقَالُ: انْثَال عَلَيْهِ الناسُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ أَي انْصَبُّوا."[٥٧]

قال ابن منظور:" وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رَضِيَ الله عنه: والناسُ حَوْلي كَرَبِيضةِ الْغَنَمِ أَي كَالْغَنَمِ الرُّبَّضِ."[٥٨]، ولعل الإمام عليه السلام جاء بالتاء للمبالغة؛ لشدة التفافهم حوله، وتمسكهم به.

وهنا يصف المتكلم – بالإشارة إلى نفسه – التفاف الناس حوله واجتماعهم عنده، مذعنين له، وهو دلالة على دعوتهم إياه إلى القيام بالأمر، وهذا الشيء لم ينطق به المتكلم بل هو يعرف ضمنا وهو ما تعرفه التداولية بـ(الأقوال المضمرة)، والمعروف أن:" القول المضمر: هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"[٥٩]، التي سبق ذكرها، وهنا كان تحقيقها فعليا بحسب نقل التأريخ[٦٠]،.وهي من هذا الجانب تعد إحالة إلى خارج النص، إلى وقائع تاريخية حدثت فعلا، ومعظم المتلقين كانوا شهودا عليها.

قال الإمامعليه السلام :" فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ "[٦١]، في هذا المقطع من الخطبة يشير الإمامعليه السلام الى توليه، الأمر، وقيامه به، ولكن القوم تفرقوا عنه، قال ابن منظور:" وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أُمِرْتُ بِقتالِ الناكثِينَ والقاسِطِينَ والمارِقِينَ؛ النَاكِثُون: أَهلُ الجمَل لأَنهم نَكَثُوا بَيْعَتهم، والقاسِطُونَ: أَهلُ صِفِّينَ لأَنهم جارُوا فِي الحُكم وبَغَوْا عَلَيْهِ، والمارِقُون: الخوارِجُ لأَنهم مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُق السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ."[٦٢].

وعودٌ إلى (الاستلزام الحواري) الذي يفترض سؤالا يوجهه المتلقي إلى المخاطب، وهو: مادمت تاركا لها أولا، لماذا تقوم بها، والقوم ينفضون من حولك، خارجين عن سلطتك، "حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا"[٦٣]، كما تقول؟

فكان جواب الإمامعليه السلام :" أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا"[٦٤]. فكان توسع الإمامعليه السلام في الجواب أكثر من السابق عملا بـ(مبدأ التعاون)، وانطلاقا من (حكم الكم).

والملاحظ هنا توسع الإمامعليه السلام في ذكر أسباب قيامه بالأمر، وهي متعددة، يبدَؤُها بالقسم الذي يوجب إزالة الشك، والإنكار، ويلجأ إلى تكراره، وأسبابه هي:

أولا: حضور الناس حوله، وطلبهم إياه القيام بالأمر، مجتمعين على ذلك.

ثانيا: قيام الحجة عليه بوجود الناصر، فهو لم يعد يصول " بِيَدٍ جَذَّاءَ".

ثالثا: – وهو الأهم – ما أخذ الله على العلماء من مواثيق ألّا يسكتوا، ويهادِنوا، وهم يرون تخمة ظالم، وجوع مظلوم، فعليهم وضع الحق في نصابه.

ولولا هذه الأسباب الموجبة؛ يقول الإمامعليه السلام: " لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا"، وهو كناية عن ترك الأمة دون توجيه، في تشبيهه لها بالدابة التي يرمى قيادها عليها وتترك دون ربط، أو قيادة من يوجهها؛ ويتبع هذا

أن الأمور ستتشابه وتتداخل عند آخر الأمة كما تشابهت عند أولها، ولا تعرف الحق، وأهله؛ لأنها ستأخذ معرفتها من مصدر واحد، وهذا المصدر لا يجعل المتأخرين يميزون الحق من الباطل، أو أن الأشياء ستتشابه عليهم، كمن يبكي سيدنا حجرا، الذي قتله سيدنا معاوية؛ لأنه لم يلعن سيدنا عليا(٦٥).

ب- ضمير المخاطب

ورد ضمير المخاطب مرتين فقط في الخطبة في قول الإمام عليه السلام:" وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ."(٦٦)، وفي المرتين جاء متصلا، فاعلا مرة، ومضافا أخرى، وبصيغة الجمع التي تدل عليها الميم في " وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ "، وغير خافٍ أن الخطاب لجمع الحاضرين بدلالة استعمال ضمير الجماعة، ولكنه يضمر خطابا للأمّة، ويبين رأي الإمام عليه السلام في دنيا نسبها إليهم، ولم يقل الدنيا مطلقا بل (دنياكم)، كما ترونها أنتم، وفي هذا إشارة أنّ معرفته بالدنيا تختلف عن معرفتهم بها، ففي كلام له عليه السلام: " فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَام، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الاَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ"(٦٧)، أما الدنيا التي يعرفونها فهي لا تساوي عنده "عَفْطَةَ عَنْزٍ".

جاء ضمير المخاطب في نهاية الخطبة، وأورده المخاطِب بعد بيان حقِّه المغتصب، وصبره عليه، وقيامه بالأمر، وخروج من خرج عليه، في استعراضه حال الدنيا، وفيه كلام يفهمه المتلقي دون أن يقوله المخاطِب(الأقوال المضمرة)، وهو دلالة على أن ما نتصارع من أجله، ويظلم فيه بعضُنا بعضا، بل نتقاتل من أجله، لا يساوي شيئا، فهو بإيراده ضمير المخاطب يسوق إليهم الموعظة، باتخاذ الدنيا مطية للوصول إلى الآخرة، بأسلوب الخبر.

ج- ضمير الغائب

ورد ضمير الغائب في الخطبة اثنتين وسبعين مرة، وهو اكثر الضمائر ورودا في الخطبة، وقد جاء فاعلا، ومفعولا، ومضافا، ومجرورا بحرف الجر، ومتصلا ومنفصلا، وظاهرا، ومستترا، ودالا على الإفراد والتثنية والجمع، ومؤنثا، ومذكرا، وكان يستعمل مرة للإشارة إلى داخل النص، لغرض الترابط النصي(الحبك النحوي)، وأخرى إلى خارج النص للإحالة.

إنّ من المعروف أن ضمير الغائب يجب أن يعود على متقدم لفظا، ورتبة، وهو الغاية منه فهو لأجل الاختصار، وعدم إعادة اللفظ، وقد يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، وهنا يجب تأخير الضمير، وتقديم ما يعود عليه، كما يحدث عند اتصال الضمير العائد على الخبر، أو جزء منه مما يوجب تقديم الخبر، وتأخير المبتدأ مع ما له من تقدم في اللفظ والرتبة، وربما يتقدم ضمير الغائب على ما يعود عليه، أي يعود على متأخر لفظا، ورتبة، وذلك في مواضع معروفة(٦٨).

ولا يتقدم ضمير الغائب على العائد عليه في غير ما ذكر إلا في الأمثال كقولهم:" في بيته يؤتى الحكم "، فالهاء في (بيته) تعود على (الحكم)، الذي تأخر لفظا، وإن كان متقدما رتبة؛ لأنّه نائب فاعل(٦٩).

مرجع ضميرَي المتكلم والمخاطب ثابت، لا يقبل التأويل باعتبار الحضور، والمشاهدة، ولكنّ مرجع ضمير الغائب ليس ثابتا ولا واضحا – كما اسلفنا – إلا بذكره، أو الإشارة إليه في النص، أو أن تكون للمتلقي معرفة مسبقة به.

تبدأ الخطبة بضمير غائبٍ يعود على مؤنث لا مرجع له في قوله عليه السلام:" أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً "(٧٠)، ففي(تقمصها، ومنها، ودونها، وعنها) ضمير لا ينطبق عليه ما ذكر سابقا، سوى ما وضحنا من معرفة المتلقي المسبقة بعائد هذا الضمير، وهذا يؤكد الرواية التي أوردها البحث، والفرضية التي قال بها الباحث من أن الخطبة قيلت في مجلس خاص، وليست على منبر.

ويرى بعض الباحثين أن الإمام عليه السلام :" لم يذكر عليه السلام الخلافة، واكتفى بالإشارة إليها في ضمير الهاء؛ لأنها معلومة عند المسلمين"(٧١)، ولا أراه دقيقا في تعليله؛ فلا دليل على عائد الضمير لو كان الكلام ابتداءا، ولعل الرأي الدقيق هو أنّ الضمير عائد على ما جرى الحديث عنه قبل الخطبة، أو قبل الكلمة التي وجهها الإمام عليه السلام للحضور؛ ليبيّن وجهة نظره في ما يخوضون فيه. نعم هناك إشارة في النص يفهم منها أن ما أُخذ منه حق خاص به، وهو تراثه، أو جزء منه في قوله: "أَرَى تُرَاثِي نَهْباً"(٧٢)، ولكن لا يمكن للمتلقي الحكم بالربط بينهما، لو لم تكن لديه معرفة مسبقة؛ وذلك لأن ما ذُكِر ورد بعد عدة جمل مع تكرار الضمير في جمل بعدها ولكنها مفصولة عنها بجمل تتحدث عن فكرة أخرى تماما، وهي تقليب رأي الإمام عليه السلام بين المواجهة، والصبر، واختياره الصبر، فضلا عن أن الضمير يعود على مؤنث، وما ورد مذكر، فيكون عائد الضمير على جزء مما ذكر، ويحتاج توضيحا، لو لم يكن المتلقي على معرفة بذلك.

ويستمر هذا الضمير دون عائد إلى نهاية الخطبة، وهو دليل على أنه محور الخطبة، بل إن الخطبة برمتها تشير إليه، وهذا ما يسمى في التداولية بـ(الافتراض التداولي السابق)كما وضح البحث، وهو وجود أمر مهم يؤثر في حياة المسلمين، وهو الخلافة، وما يفعله المخاطب هو إقناع المتلقي بأحقيته فيها بدءا، وليس كما جرت الأمور.

يظهر ضمير الغائب في مواضع أخرى، ولكنه كما قلنا يشير إلى عائد موجود في النص، وهنا يؤدي دوره الطبيعي في (الحبك النحوي) ولا يعد من الإشاريات؛ فضمير الغائب يدخل في

الإشاريات إذا كان حرا لا يُعرف مرجعه؛ فإذا عُرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات [٧٣]، فضمائر الغائب المذكرة في قوله عليه السلام:" وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى" تعود على (فلان) المذكور في جملة سابقة، ولكن قد يختلط هذا الأمر حين يكون ضمير الغائب يعود على مؤنث، فقوله عليه السلام:" أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ "، فضمير الغائب في(فيها) التي تكررت، يعود على (طَخْيَةٍ) المذكورة، جاء في سياق استعماله الطبيعي، وهو الربط النحوي للنص، ولا يعود على الخلافة، لأن ما يحصل بصبره على الأمر هو (طَخْيَةٌ عَمْيَاءُ) تسبب مشيب الصغار، وهرم الكبار، وكدح المؤمن.

وورد ضمير الغائب في قوله عليه السلام:" فَيَا عَجَباً بَيْنَمَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ "[٧٤]، فالضمير المنفصل (هو) يعود على (فلان) المذكور في بداية الخطبة، قال أحد الباحثين " وقوله: فلان، دلالة على الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ولم يذكره؛ لعلم المقابل به، وفي قوله فلان أمور، منها: أن كنايته بفلان فيها ذم للمقابل؛ لان العرب تكني بفلان تذمما من ذكر الاسم."[٧٥]، وأقول: ربما يكون ما ذهب إليه الباحث صحيحا، ولكن هناك روايات أخرى للخطبة يصرح فيها الإمام عليه السلام بكنيته واضحة فبدل (فلان) يذكر (ابن أبي قحافة)[٧٦]، وهذه الرواية أقرب إلى الواقع من رواية (فلان)؛ فالإمام عليه السلام غير مجبر على الكناية؛ لأن ما يتحدث عنه واضح للحاضرين، وكان يدور بينهم نقاش حوله، وهو الخليفة في وقته، وانتهت الأمور إليه، فلا محاباة، ولا خوف، ولا رعاية للعواطف، ولم يعرف ذلك عنه في الحق، وبخاصة في أمر مهم كالخلافة، وهو عليه السلام يتكلم عما جاش في نفسه، وأراد أن يفرغ هذه الشحنة العاطفية؛ لذلك سماها(شقشقة)، وهي استعارة لما يفعله البعير حين يثور(يهدر)[٧٧]، فهو عليه السلام في هذا الموقف العاطفي المشحون إلى التصريح اقرب منه إلى الكناية، وكذلك في قوله عليه السلام:" إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ"، ففي رواية للخطبة بدل(آخر) (فلان)، ورواية (ابن الخطاب)[٧٨]، وبهذا فإن الإمام عليه السلام أوضح الأمور، ويرى الباحث أن ما حصل للخطبة من تغيير خوف ناقليها وعملهم بمبدأ التقيّة – مع وضوحها التام – والخطبةُ محاربةٌ حتى يومنا هذا.

وبالعودة إلى النص نجد أن فيه ضمير الغائب الذي يعود على الخلافة في (يستقيلها، وعقدها، وضرعيها، وفصيرها)، يقول عليه السلام:" لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا " وهنا ضمير الغائب في (تشطرا) الذي يدل على مثنى مذكر، وهو يشير إلى (ابن أبي قحافة) و(ابن الخطاب) – المذكورين في الخطبة، أو المكنى عنهم بـ(فلان) و(آخر) – وفيه استعارة لما فعلاه في الخلافة، فهو يشبهها

بالناقة بذكر لازمة من لوازمها (ضرعيها) – استعارة مكنية –، وهما قد تقاسما هذين الضرعين، وهو يقول – بشكل غير مباشر –: إن ما فعلاه مُدبّر؛ لكي يبعدوه عن الخلافة وهذا من (الأقوال المضمرة).

د– النداء

قال د.محمود احمد نحلة:" ويدخل في الإشارة إلى الشخص (النداء)، وهو ضميمة اسمية تشير إلى المخاطب لتنبيهه، أو توجيهه، أو استدعائه، وهي ليست مدمجة في ما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنه بتنغيم يميزها، وظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه"(٧٩)، وقد استعمل الإمام عليه السلام النداء في الخطبة مرتين:

الأولى للاستغاثة في قوله عليه السلام:"حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ"(٨٠)، والمعروف في الاستغاثة هو طلب العون، ولكن الإمام عليه السلام يأتي بها هنا للتعجب، فبعدها سؤال إنكاريّ في قوله عليه السلام:" مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ"، وقبلها يقول عليه السلام:" حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ "، فوضعه في هذه الجماعة (زعم) يتعجب منه الإمام عليه السلام بالاستغاثة، وينكره بالسؤال، وتعجبه يأتي من تتابع الأحداث وتداعياتها، وما آلت إليه الأمور؛ بسبب غصبه حقه.

والأخرى تأتي في نهاية الخطبة بقوله عليه السلام:" هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ"، فهو يخاطب ابن عباس، وليس ببعيد عنه، ولكنه يستعمل النداء هنا لتنبيه ابن عباس على أهمية الكلام، وهو أن هذه الخطبة هي زفرة ألم من إنسان مكلوم، ولا يريد أن يسهب في كلامه؛ لأنه لا فائدة منه؛ لذلك وصفها بـ" شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ"، وكأنما أزاح همّا بقولها، وشفى صدره من حديث كان يدور – لم نعرف ما هو – حول الخلافة، ومن سبقه ممن تولى الأمر.

ثانيا: الإشاريات المكانية

وهي إشاريات إلى أماكن يعتمد تفسيرها على مكان التكلم، أو تشير إلى أماكن يعرفها المتكلم، والمتلقي.

لاختيار المكان أثره في تحديد هذه العناصر الإشارية(٨١)، يقول د. عبد السلام المسدي:"فليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان، وإنما هو حبيس في سياجه"(٨٢)، فلا بد من الكلام لمكان يُنتَج فيه، وهو(هنا) بحسب المعنى العميق للكلام، وقد يشير الكلام إلى أماكن يعرفها المتكلم والمتلقي كما مر.

من الأماكن التي أشارت إليها الخطبة قوله عليه السلام:" وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ"(٨٣)، فهو يشير إلى مكانته من الخلافة في قوله" مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى"، أي أنه مركز

دورانها، فمهما دارت الأمور فهي ترتكز عليه، وبه تقوم، "تشبيه محض خارج من باب الاستعارة والتوسع يقول كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه كذلك نسبتي إلى الخلافة فإنها لا تقوم إلا بي ولا يدور أمرها إلا علي "(٨٤)، وهذه المركزية نابعة من مكانته في الإسلام، ويعزز هذه الإشارة بقولهعليه السلام: " يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ"، فالسيل لا يمكن أن يغرقه لعلو مكانه، أو أنه تحصن بالإسلام الحق من أن تصله شبهات الضلالة، أو أنه فيض لأحكام الإسلام بعد رسول اللهﷺ، تنحدر منه لتروي الظماء لها(٨٥)، ولا يبلغ الطير مكانه عزما وهمة، فهو بهذا المجاز ينبه فكر المتلقي، ويوجه ذهنه إلى متصور مادي يحمل دلالات معنوية توضح مكانته وهمته في ما يعرف في التداولية بـ(مبدأ التعاون).

استعمل الإمامعليه السلام: (قطب الرحى) للدلالة على المركزية، والقيادة، فهو ينصح عمر بن الخطاب بقولهعليه السلام:" فكن قطبا، واستدر الرحى بالعرب"(٨٦)، وكذلك بالنسبة إليه عندما تولى الأمر قالعليه السلام:" إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ اَلرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهَا اِسْتَحَارَ مَدَارُهَا وَ اِضْطَرَبَ ثِفَالُهَا"(٨٧)، ورد في اللسان:" اسْتَحَارَ شَبَابُهَا اجْتَمَعَ وَتَرَدَّدَ فِيهَا كَمَا يَتَحَيَّرُ الْمَاءُ"(٨٨) و" الثِّفال، بِالْكَسْرِ، الجِلْد الَّذِي يُبْسط تَحْتَ رَحَى الْيَدِ لِيَقِي الطَّحِين مِنَ التُّرَابِ"(٨٩)، وهي من خطبة له يحثهم فيها على الجهاد، أما في الخطبة الشقشقية، فهو يرى أنه المركز في كل شيء قيادة، ومكانة، وعلو همة، ولا يدبر الأمر دونه، حتى قال عمر بن الخطاب:" أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتَ فِيهِمْ يَا أَبَا حَسَنٍ"(٩٠)، وقال:" أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ"(٩١).

ومن الإشاريات المكانية إشارته إلى أماكن في جسم الإنسان في قولهعليه السلام:" فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا"(٩٢)، فصبره لم يكن هينا، بل كان صعبا، يتألم كما يتألم من تصاب عينه بدخول شيء فيها، و كمن يعترض في حلقه عارض من عظم أو غيره فلا يستطيع بلعه ولا يستطيع إخراجه، وهي كناية عن الألم يُسبِّبُه صبرُ المُكرَهِ الذي ينطوي على القهر، وهو ألم معنويّ يفوق بكثير الألم المادي.

ومن الإشاريات المكانية قولهعليه السلام:" فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا"(٩٣)، " والحَوْزة: النَّاحِيَةُ "(٩٤)، وهي إشارة إلى ما فعله أبو بكر من وضع الخلافة في مكان أو ناحية هذه صفاتها، وأبو بكر بفعله هذا وقع في تناقض فهو يذهب إلى سقيفة بني ساعدة في ساعة وفاة رسول اللهﷺ، ويجادل في الخلافة دون الالتفات إلى من يدعي وجود وصية لرسول اللهﷺ بهذا الشأن، وهو ينكر ذلك، وعندما تحضره الوفاة يوصي هو بها، فضلا عن أن من أوصى إليه

يتصف بالغلظة، والشدة، والتوهم ويشهد عليه ما فعله يوم استشهاد الرسول الأكرمﷺ[٩٥]، وهو وصف للشخص باستعمال المكان مجازا، قال الراوندي:"وهو تعريض بجفاء خلق الرجل الثاني، ونفار طبعه"[٩٦]، ووصف وضعهعليه السلام معه بـ" فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ "[٩٧]، فهو صعب الانقياد، وربما لا يأخذ بنصيحة، أو مشورة إلا أن يعجز عنها، أو يحار فيها، وهذا ما سبق أن قاله بنفسه:" أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ"[٩٨].

ومن الإشاريات المكانية قولهعليه السلام:" إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ"[٩٩]، ورد في اللسان:" مِن انتفَج جَنْبا الْبَعِيرِ إِذا ارْتَفَعَا وعظُما خِلْقةً. ونَفَجْتُ الشيءَ فانْتفج أَي رفَعتُه وعظَّمْتُه، وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نافِجاً حِضْنَيهِ، كَنَّى بِهِ عَنِ التعاظُم والتكبُّر والخُيَلاء."[١٠٠]، و:" يُقَالُ لِكُلِّ حافِرٍ ثَلَّ ونَثَلَ إِذا رَاثَ. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَيْنَ نَثِيلِه ومُعْتَلَفِه؛ النَّثِيلُ: الرَّوْثُ "[١٠١]، و" المِعْلَفُ: مَوْضِعُ العلَف. والدابةُ تَعْتَلِف: تأْكل"[١٠٢]، في هذا المقطع يصف الإمامعليه السلام عثمان ين عفان، وهو ثالث القوم الذين تولوا أمر المسلمين بعد رسول اللهﷺ، ويصفه بالخيلاء، والتكبر، ولا يعرف غير مكانين هما (نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ)، وهذا مجاز يبين فيه الإمامعليه السلام ضعف شخصيته، وعدم قيامه بواجبه كما ينبغي؛ لذلك التف حوله بنو عمومته، وأوردوه موارد الهلاك، " وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته"[١٠٣].

فوصفه بعدم العمل، وعدم الفهم، والتراخي في القيادة، وتركها في يد أناس آخرين (الأقوال المضمرة).

قال الإمامعليه السلام:" فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ."[١٠٤]، وفيه إشارة مكانية، وهي "من كل جانب" ربما أراد الإمام بهذه الإشارة المعنى الحقيقي لها، ويعضد ذلك ذكره ظرف المكان "حولي" وهو إشارة مكانية كذلك، فهو يصف وصفا حقيقيا ما حصل له من اجتماع القوم عليه "حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ"، وهذا يعني اجتماع الأمة عليه، فهو أملهم في إنقاذهم من فتنة وجدوا انفسهم في غمارها بعد ثورة شعبية أدت إلى مقتل (الخليفة عثمان بن عفان)، وتباين موقف سادة القوم بين داعم للثوار، وآخر مدافع عن السلطة، ومنهم من تخلى عن الأمر، واكتفى بالتفرج طمعا بما هو آت[١٠٥].

فيما سبق من ذكر الإشاريات المكانية في الخطبة لم يكن أي منها مكانا محدودا في العالم الحقيقي يحيل إليه الإمامعليه السلام بل جميعها كانت أماكن مجازية على سبيل التشبيه والاستعارة، وهذا يرتبط بقصدية المتحدث، "ويتحدد القصد

من خلال السياق بعناصره الكثيرة، فهو ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسل، بدلا من التقيد بالمعنى اللغوي البحت"[١٠٦]، واستعمل في ذلك ألفاظا من البيئة التي يعيش فيها المتلقون، وفكك علاقاتها الدلالية بمدلولاتها الأصلية، لينشئ بالمجاز علاقات جديدة، يفهم المتلقي منها معاني جديدة[١٠٧]، واعتقد أنه كان يخص جمهورا أوسع، نظرا لنوع الحضور في الخطبة، واستعملها في سياق مشحون نفسيا بالنسبة له، يعرف تماما أنه لا يؤثر بشكل فعال في سامعيه – إلا قليلا – في وقت إنشاء الخطبة.

ثالثا: الإشاريات الزمانية

الإشاريات الزمانية موجودة ضمنا في أي خطاب، كما تقول أدبيات البحث اللغوي التي سبق الإحالة عليها ضمن مثلث (الأنا، والهنا، والآن)، وبداية الخطبة تشير – باستعمال الفعل الماضي المؤكد حدوثه بكلمة (قد) المسبوقة باللام التوكيدية والقسم في قوله "أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا" – إلى زمن ماض يعرف المتلقون أحداثه، وكان غرض المخاطب من الإحالة إلى هذه الأحداث توضيح وجهة نظره فيها، والتأثير في المتلقي لتصديقه؛ لذلك كانت هذه المؤكدات، وتستمر الخطبة في هذا الجانب، فهي شرح لأحداث ماضية؛ وهذه الأحداث تؤثر بشكل مباشر في ما بعدها من الأحداث، ومنها زمن الكلام، وإلى الوقت الحاضر.

ورد في الخطبة بعض ألفاظ الزمان لم يستعملها المخاطب بدلالتها المعجمية بل لدلالات أخرى، وهي لفظة (يوم) التي وردت في البيت الشعري الذي تمثل به:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا

وَ يَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[١٠٨]

وهو بيت للأعشى، وللبيت قصة فـ(حيان) سيد من بني حنيفة كان مرفها، وكان الأعشى ينادمه، والشاعر يصف حاله في تنقله على ناقته وما يتحمله من مشاق السفر، وحال نديمه (حيان)، وهو في رغد من العيش، و(جابر) هو أخو (حيان)، واصغر سنا من (حيان)، وعتب (حيان) على الأعشى؛ لأنه نسبه إلى أخيه، وهو أصغر منه سنا، فاعتذر الأعشى بان الروي اضطره إلى ذلك، فلم يعذره وترك منادمته[١٠٩]، فـ(يوم) الواردة في شطري البيت لا تدل على زمن محدد، بل هي إشارة زمنية مفتوحة غير محددة تدل على حاله عليه السلام مقارنة بحال غيره، فهو عليه السلام صابر يكابد ألم ما يرى من حال المسلمين، مقارنة بغيره الذي يطلب الدنيا ويتنعم بها، ويرى الباحث أن تمثله بهذا البيت فيه شق آخر، إذ نسب الإمام عليه السلام الخلفاء إلى ما لا يليق بهم من تهافت على الدنيا، وهم أرفع شأنا في ما يفترض، كما هي الحال في نسبة (حيان) إلى أخيه الصغير الأقل شأنا ومكانة؛ وتوجههم هذا جعلهم يدفعون الحق عن أهله.

ومن ألفاظ الزمان التي وردت في الخطبة لفظة (مدة) في قوله عليه السلام: " فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ"(١١٠)، وهي إشارة زمانية حقيقية إلى المدة الزمنية التي عاشها الإمام عليه السلام في ظل حكم من اغتصب حقه؛ ساهم في إحساسه بثقل هذا الطول "شدة المحنة" وفي رأيي أنه لم يكن واصفا لحاله في المستوى الشخصي، فهو في عيش رغيد، وعطاؤه يصله كبقية المسلمين؛ فضلا عن كونه أحد رجال الدولة ومستشاريها؛ ولكنه كان ينظر إلى مستقبل الأمة، وما تؤسس له هذه المدة الزمنية من دواهٍ ستلمُّ بها، ممّا نشهده الآن.

لفظة (الربيع) من ألفاظ الزمان التي وردت في قوله عليه السلام:" وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ"(١١١)، يأتي بها هنا مضافة إلى النبتة، ليدل على أنها أشد اخضرارا، وأكثر طراوة من غيرها من النباتات التي توجد في فصول أخرى، فهو فصل تفتح النباتات، وكثرة العشب، مما يجعل الحيوانات تقبل على الأكل بشراهة استعدادا لموسم الجفاف في الصيف، وهو الفصل الذي يليه، وربما تكون الإبل اكثر إقبالا على نبتة الربيع؛ لأنها لا تحصل على العشب الطري إلا في هذا الفصل، قال الثعالبي:" القَضْمُ للدَّابَةِ في اليَابِسِ. والخَضْمُ في الرَّطْبِ.... الخَضْم الأَكْلُ بِجَمِيعِ الأَسْنَانِ. القَضْمُ بأَطْرَافِهَا."(١١٢)، فهو تشبيه تصويري لما فعله بنو أمية في عهد عثمان بن عفان.

رابعا: أسماء الإشارة

قال ابن يعيش:" يقال لهذه الأسماء: مبهماتٌ؛ لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتُلْبِس على المخاطب ... لذلك، لزمها البيانُ بالصفة عند الإلباس ... ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحةٍ أو ما يقوم مقامَ الجارحة "(١١٣)، وتعتمد أسماء الإشارة على السياق؛ فلا يمكن تحديد مرجعها بغير اللجوء إلى عناصر النص(١١٤).

قال الإمام عليه السلام: "فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ"(١١٥)، (هاتا) اسم إشارة بمعنى (هذه) في الإشارة للمؤنث(١١٦)، فهو يشير إلى ما وصفه بـ(طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ) وهي إشارة إلى شيء غير موجود عينا، بل هو وصف لحال، والإشارة هنا إلى ما ذكر داخل النص من وصف، فهو يقول ورأيت الصبر على هذا الذي وصفته، وهو يجسد الحالة في ذهن المتلقي ليشير إليها وكأنها عين مشاهدة؛ وبهذا يكون حضورها في الذهن أبلغ من أن تبقى وصفا عاما.

وقال عليه السلام:"مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ"(١١٧).

استعمل الإمام عليه السلام اسم الإشارة (هذه) للإشارة إلى أناس محددين وصفهم بـ(الجماعة)، وهم معروفون لدى الحاضرين، وهو يستصغر شأنهم مقارنة به بأسلوب الاستفهام الإنكاري، فهو عليه السلام أعلى شأنا منهم، بل هو أول القوم كما وصف،

والداهية أن من أمر بتشكيل هذه الجماعة وضع الإمامعليه السلام من ضمنهم، فهو يستنكر العمل أصلا، فضلا عن أن ينسب إلى هكذا جماعة في قولهعليه السلام:" حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ"(١١٨)، فالإمام يستنكر أن يقرن بمن وصفهم بـ(هَذِهِ النَّظَائِرِ)، و(النظائر) كما يصفهم محمد عبده:" المشابه بعضهم بعضا دونه"(١١٩)، فهم – مهما يكن من شأنهم – دون شأن الإمامعليه السلام، فالقول بالتعبير العصري: كيف أقارن بهذه الأشكال؟ وقد ترك الإمامعليه السلام لذهن المتلقي المجال واسعا في استحضار ما يفهم من معاني الاستصغار والاستهجان وعدم الأهلية التي تتصف بها هذه الجماعة مقارنة بهعليه السلام باستعماله هذه الإشارة (الأقوال المضمرة).

وقالعليه السلام:"وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ."(١٢٠)، استعمل الإمامعليه السلام اسم الإشارة (هذه) ليشير به إلى متقدم لفظا، وقد جاء اسم الإشارة نعتا لـ(دنياكم)، أي : دنياكم المشار إليها؛ ليميزها من دنيا يعرفها – كما اسلفنا –؛ فالدنيا عنده محل للتزود للآخرة، أما الدنيا التي يشير إليها، وينسبها إلى المخاطبين، فهي عنده أزهد من " عَفْطَةِ عَنْزٍ".

وورد اسم الإشارة في كلام الإمامعليه السلام خارج الخطبة، ولكنه مرتبط بها، عندما طلب منه ابن عباس الاستمرار في الكلام فقالعليه السلام:" هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ"(١٢١)، استعمل الإمامعليه السلام اسم الإشارة (تلك) ليشير به إلى الخطبة التي وصفها بـ(الشقشقة)، ونلاحظ استعماله اسم الإشارة (تلك) الذي يشار به للبعيد؛ وكأنه بعد أن ألقاها أزاح من على صدره همّا لا يريد تذكره، أو العودة للحديث عنه، فهي شحنة عاطفية أفرغها في هذه الخطبة؛ لذلك سماها بـ(الشقشقة) وهي استعارة لما يفعله البعير عندما يثور(١٢٢)، فهي (هدرت) على لسانهعليه السلام، و"الهَدِيرُ: تَرَدُّدُ صَوْتِ الْبَعِيرِ فِي حَنْجَرَتِهِ،"(١٢٣) فهي كناية عما جاشت به نفسه، وتنفيس عما كظم من غيظه وألمه، ويصف انتهاءه منها بـ(قرّت) أي بردت وسكنت " والقَرُّ: اليَوْمُ البَارِدُ. وكُلُّ بارِدٍ: قَرٌّ"(١٢٤)؛ لذلك فهو يشير إليها بما يشار به إلى البعيد، وربما كان ندم ابن عباس على سؤاله أن يتم الخطبة؛ ليس أنه بلغ منها ما أراد؛ ولكن الكلام ذكّره بمواجع يحاول الإمامعليه السلام تجاوزها؛ ولكنه أجبر على البوح بها؛ لكي يضع الحق في نصابه، فهي عنده " فِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا" و" طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ " و" حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ" و" فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ" كل هذه الأمور يحاول الإمامعليه السلام تجاوز ألمها النفسي؛ فكان ندم ابن عباس على سؤال الإمامعليه السلام الإطالة في ذكر هذه الأحداث الأليمة.

خامسا: الإشاريات الاجتماعية

وردت في الخطبة ألفاظ تشير إلى علاقات اجتماعية أثرت في مجريات الأحداث التي كان الإمام عليه السلام يشرحها للحضور ويحاول بيان مجرياتها، قال الإمام عليه السلام:" فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَ مَالَ اَلْآخَرُ لِصِهْرِهِ "(١٢٥)، ومن استصغار شأن أصحاب الشورى الذين لم يضعوا الحق موضعه؛ هو إيثارهم الأحقاد النفسية، والعلاقات الاجتماعية على مصلحة الأمة، وعلى وضع الحق في نصابه.

ورد في لسان العرب:" صَغا إِلَيْهِ يَصْغَى ويَصْغُو صَغْواً وصُغُوّاً وصَغاً: مَالَ، وَكَذَلِكَ صَغِيَ، بِالْكَسْرِ .....الضِّغْنُ والضَّغَنُ: الحِقْد، وَالْجَمْعُ أَضْغانٌ، وَكَذَلِكَ الضَّغِينَةُ، وجَمْعُها الضَّغائن؛ .... ضَغِنَ الرجلُ يَضْغَنُ ضَغَناً وضِغْناً إِذا وَغِرَ صَدْرُه ودَوِيَ..... وضَغِنَ إِليه: نَزَع إِليه وأَراده. الصَّهْرُ: الْقَرَابَةُ. والصِّهْرُ: حُرْمة الخُتُونة، وخَتَنُ الرَّجُلُ صِهْرُه، والمتزوِّجُ فِيهِمْ أَصْهارُ الخَتَنِ، والأَصْهارُ أَهلُ بَيْتِ المرأَة وَلَا يُقَالُ لأَهل بَيْتِ الرَّجُلِ إِلَّا أَخْتان، وأَهل بَيْتِ المرأَة أَصْهار، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَجْعَلُ الصَّهْرَ مِنَ الأَحماءِ والأَخْتان جَمِيعًا. "(١٢٦)

وهكذا تلاطمت بهم أمواج الأهواء النفسية بين حب، وحقد، ورضا، وبغض، وعلاقاتهم الاجتماعية التي يجب أن لا تكون مقياسا لتقرير مصير الأمة؛ لتؤول الخلافة إلى رجل ضعيف سبب ثورة شعبية عارمة انتهت بمقتله وتشرذم الأمة بعد معارك طاحنة فيما بين أبنائها؛ وهذا ما كان يخشاه الإمام عليه السلام ويحاول تجنبه.

ونلاحظ أن الإشارات الاجتماعية التي وردت في الخطبة كان يريد منها الإمام عليه السلام توضيح مجريات الأمور دون التصريح بهؤلاء الأشخاص؛ لأنهم معروفون للمتلقين، فقد وصفهم بـ(النظائر) استصغارا لشأنهم، ومشابهة بعضهم بعضا في تهافتهم على الدنيا دون النظر إلى مصلحة الأمة، وهم اللذين عينهم عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة بعده، وبضمنهم الإمام عليه السلام الذي كان يأنف من أن يقارن بهم.

وهكذا نجد أن الخطبة قد استعملت الإشاريات المختلفة الشخصية والزمانية والمكانية، لكي يوصل المخاطب إلى المتلقي ما يقدح في فكره من أفكار يريد توضيحها، وما يجول في صدره من مشاعر يريد مشاركتها مع الآخرين ؛ وقد أوفى الإمام عليه السلام توضيح أفكاره، ووصف ألمه لما حلّ، ويحلّ بالأمة بسبب تصرف من سبقه.

النتائج

– الخطبة الشقشقية محاربة على طول التأريخ لما فيها من دلالة واضحة على موقف الإمام علي عليه السلام ممن سبقه من الذين تولوا أمر الأمة.

– أثبت البحث أن الخطبة لم تكن من على منبر بل كانت حديثا في (مجلس خاص) ذُكرِت فيها شؤون الخلافة فأبدى الإمام عليه السلام رأيه فيها.

– كانت ألفاظ التشبيهات والاستعارات التي استعملها الإمام عليه السلام مُنتزعة من بيئة بدوية، يفهمها الجالسون، وهذا يؤكد أن الخطبة غير موجهة للعموم، فمجتمع الكوفة كان خليطا من مشارب عرقية شتى فضلا عن العرب، ولكن الإمام عليه السلام كان يقصد جمهورا معينا؛ مما ظهر في استعماله هذه الألفاظ.

– لاحظ البحث أن الإمام عليه السلام استعمل الإشاريات الشخصية، وإشاريات المكان، وإشاريات الزمان، وأسماء إشارة في خطبته؛ لتوضيح حقه المغتصب، وكيف تم الاستيلاء عليه، فضلا عن حاله في القوم؛ فهو يرى نفسه أفضل منهم في تولي الأمر، وقيادة الأمة، ولكنهم آثروا الحياة الدنيا، وغرهم بريقها، فأزاحوه عن أمر يراه حقا له، ويستشرف في ما فعلوه مستقبل الأمة، وما وصلت إليه، وكان صادقا في ما قال؛ فنحن نعيش هذا الواقع الذي استشرفه الإمام عليه السلام، ونرى ما حل بالإمة من تراجع وهوان، فضلا عما أريق من دماء، وسقط من شهداء، وقتلى في الصراع على السلطة، أو الصرعات المذهبية التي عصفت بالأمة وفرطت عقدها؛ بسبب مواقف السلف الذين أورثونا هذه الصراعات التي لا يخمد أوارها؛ لما تأصل في النفوس بسببها من أحقاد، وإحن.

– الخطبة تنم عن ألم شخصي عميق يعاني منه الملقي – الإمام عليه السلام– لما حل بالأمة من حرف مسارها نحو الانطلاق في خدمة الدين ونشره إلى صراع على السلطة، وما حل به شخصيا من هضم حق يراه له من غير منافس، ولكنه كان يتكئ على ألمه في سبيل نقاء الدين، ووحدة الأمة، وهو يعرف أن موقفه سيُعرَف ويتضح تماما في المستقبل، لا في حاضره الذي كان يؤرقه.

– إنّ الإمام عليه السلام كان يرى أن من بين الجالسين شاكّا في دعواه، بل منكرا إيّاها – إن لم يكن مكذبا – والدليل كثرة المؤكدات التي وردت في الخطبة، وأعلاها القسم الذي تكرر مرات.

الهوامش:

[١] – معجم مقاييس اللغة.: ٣١٤/٢

[٢] – ظ: معاني القرآن/ الفراء: ١٤٥/٣

[٣] – أساس البلاغة: ٣٠٣/١ (دول)

[٤] – ظ: محاضرات في اللسانيات التداولية: ١٢– ١٤

[٥] – التداولية، البراغماتية الجديدة، خطاب ما بعد الحداثة: ٥٠

[٦] – المقاربة التداولية: ٨

[٧] – م. ن: ص. ن

[٨] – المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٩٨

[٩] – المقاربة التداولية : ٨

[١٠] – الزاهر فى معانى كلمات الناس/ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري/ تح/د. حاتم صالح الضامن/دار النشر / مؤسسة الرسالة – بيروت /ط١/ ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م: ٨٧/١

[١١] – ظ: الانتصار للقرآن: ١٠٨/١، ٤٧٣/٢– ٤٧٤

[١٢] – نهج البلاغة:١/ ٣٠ وما يليها.

[١٣] – ظ: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره – دراسة شاملة): ٧٠٣/٢، وأمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه – شخصيته وعصره: ٢١٤، والدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار: ٥٩٩/٢، ورد الكلام نفسه في هذه الكتب في المواضع المحال عليها، وأظن أنها تسميات مختلفة لكتاب واحد (الكاتب واحد هو: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي)، و شبكة المعلومات العالمية: موقع أهل الحديث، موقع فيصل نور (أسطورة الخطبة الشقشقية).

[١٤] – ظ: مصادر نهج البلاغة وأسانيده/: ٣٠٩/١، وشبكة المعلومات العالمية: موقع يوتيوب

[١٥] – ظ: شبكة المعلومات العالمية: موقع شبكة رافد، وموقع مؤسسة السبطين،

[١٦] – ظ: نثر الدر: ١٨٦/١، وما بعدها

– طبع الكتاب مختصرا تحت عنوان (من نثر الدر)/اختار النصوص/ مظهر الحجي/وقام بحذف الخطبة (من ضمن اختياراته)، ظ: من نثر الدر:١٣٠ مكان الحذف، وذكرت كاملة في طبعة الهيأة المصرية العامة للكتاب، ظ: نثر الدر(طبع مصر): ٢٧٤/١،وما بعدها

[١٧] – ظ: رسائل الشريف المرتضى: ١٠٧/٢، وما بعدها.

[١٨]– ظ: مجمع الأمثال/ الميداني: ٣٦٩/١

[١٩] – ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٩٠/٢

[٢٠] – ظ: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ٣٨٣

[٢١] – ظ: تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة: ٣٦٧

[٢٢] – ظ: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٤٨/١، ٢٠٨/١– ٢٠٩، ٩٨/٣

[٢٣] – ظ: لسان العرب (شقق): ١٨٥/١٠، والقاموس المحيط: (شقق) ٨٩٨/١، وتاج العروس من جواهر القاموس: (شقق) ٥٢٢/٢٥

[٢٤] – نهج اللاغة: ٣٠/١

[٢٥] – تذكرة الخواص: ٣٦٧

[٢٦] – نهج البلاغة: ٣٦/١

[٢٧] – م.ن: ٣٥/١ – ٣٦

[٢٨] – ظ: الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء):٤٧/١

[٢٩] – منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٣٠/١ – ١٣٣

[٣٠] – ظ: نهج البلاغة:٣٧/١

[٣١] – استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية): ٨٠

[٣٢] – ظ: م.ن: ٨٠ – ٨١

[٣٣] – ظ: القاموس الموسوعي للتداولية: ٣٥٩

[٣٤] – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦– ١٧

[٣٥] – الصورة العميقة للجملتين المثال هي:

١– أنا أقول هنا قام محمد من قبل

٢– أنا أقول هنا أصبر أنا على الأمر الآن ومستقبلا

نلاحظ أن العناصر الإشارية جميعها موجودة في الجملتين، وهي الضمائر، وظرفي الزمان والمكان، ولكنها غير موجودة في البنية السطحية، فهي تعتمد على كفاءة المرسل اللغوية، وهو لا يستعملها إلا وقت حاجته إليها.

[٣٦] – ظ: استراتيجيات الخطاب: ٨١ – ٨٢، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧

[٣٧] – ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٥ – ٢٦

[٣٨] – ظ: م.ن: ٢٤

[٣٩] – نسيج النص(بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصا): ١١٩

[٤٠] – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية): ٨١

[٤١] – شرح المفصل للزمخشري/ابن يعيش: ٢٩٢/٢ – ٢٩٣

[٤٢] – ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩

[٤٣] – نهج البلاغة: ٣٠/١ – ٣١

[٤٤] – ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٨

[٤٥]– ظ: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): ٣٢

[٤٦] – نهج البلاغة: ٣١/١

[٤٧] – لسان العرب: (جذذ) ٤٧٩/٣

[٤٨]– ظ: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١٢، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٣ –٨٤

[٤٩] – ظ: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١٤

[٥٠] – نهج البلاغة: ٣١/١

[٥١] – م.ن: ص.ن.

[٥٢] – المنتخب من غريب كلام العرب: ٥٤٣

[٥٣] – ظ: الإمامة والسياسة: ١٨٤/١ – ١٨٥، و ٢/ ٦– ١٠

[٥٤] – ظ: رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدّلائل: ٣٩٥/١، و ٤٠٥/١

[٥٥] – نهج البلاغة: ٣٥/١ – ٣٦

[٥٦] – تاج العروس: (عرف) ١٤٨/٢٤

[٥٧] – لسان العرب: (ثول) ٩٥/١١

[٥٨] – م.ن: (ربض) ١٥٣/٧

[٥٩] – التداولية عند العلماء العرب: ٣٢

[٦٠] – ظ: الإمامة والسياسة: ٤٧/١

[٦١] – نهج البلاغة: ٣٦/١

[٦٢] – لسان العرب: (قسط) ٣٧٨/٧

[٦٣] – نهج البلاغة: ٣٦/١

[٦٤] – م.ن: ٣٦/١ – ٣٧

[٦٥] – وردت هذه الحكاية في كتاب (فاسألوا أهل الذكر) للدكتور محمد التيجاني: ٢٣٧– ٢٣٨ (وهي أنّ أحد الصالحين زار قبر الصّحابي الجليل حجر بن عدي الكندي فوجد عنده رجلاً يبكي ويكثر البكاء فظنّه من الشيعة فسأله: لماذا تبكي؟ أجاب: أبكي على سيدنا حجر رضي الله تعالى عنه!

قال: ما ذا أصابه؟

أجاب: قتله سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه.

قال: ولماذا قتله؟

أجاب: لأنه أمتنع عن لعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه.

فقال له ذلك الصّالح: وأنا أبكي عليك أنت رضي الله تعالى عنك.)

وأوردها نصا الدكتور محمد حسان المنير في كتابه (يوم قبل وفاة محمد): ١٥، وتناقلها الكتاب في مقالاتهم، ولكني لم أهتد إلى مصدر قديم وردت فيه، وربما حدثت في عصور متأخرة، والله أعلم.

[٦٦] – نهج البلاغة: ٣٧/١

[٦٧] – م.ن: ١٥/٢

[٦٨] – ظ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٦٣٥– ٦٤١

[٦٩] – درجت على هذا الاستعمال بعض نشرات الأخبار في محطاتنا الإخبارية في مثل قولهم:" في مؤتمره الأخير صرّح الوزير".

[٧٠] – نهج البلاغة: ٣٠/١– ٣١

[٧١] – استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي – عليه السلام – (مقاربة تداولية): ٦١

[٧٢] – نهج البلاغة: ٣١/١

[٧٣] – ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ١٨

[٧٤] – نهج البلاغة: ١/ ٣٢ – ٣٣

[٧٥] – استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (ع): ٦١

[٧٦] – ظ: منهاج البراعة للراوندي: ١١٨/١ هامش(١)

[٧٧] – ظ: لسان العرب: (شقق) ١٨٥/١٠

[٧٨] – ظ: منهاج البراعة للراوندي: ١١٨/١ هامش(١)

[٧٩] – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩

[٨٠] – نهج البلاغة: ٣٣/١– ٣٥

[٨١] – ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١

[٨٢] – التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٢٤٨

[٨٣] – نهج البلاغة: ٣٠/١ – ٣١

[٨٤] – استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي(ع): ٦٥

[٨٥] – ظ: نهج البلاغة: ٣١/١ (هامش ١)

[٨٦] – م.ن: ٢٩/٢

[٨٧] – م.ن: ٢٣٢/١

[٨٨] – لسان العرب: (حور) ٢٢٤/٤

[٨٩] – م.ن: (ثفل) ٨٥/١١

[٩٠] – المستدرك على الصحيحين: ٦٢٨/١

[٩١] – المدخل إلى السنن الكبرى: ١٣٠

[٩٢] – نهج البلاغة: ٣١/١

[٩٣] – م.ن: ٣٣/١

[٩٤] – لسان العرب: (حوز): ٣٤٢/٥

[٩٥] – ظ:(تاريخ الطبري) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: ١٩٩/٣، وما بعدها.

[٩٦] – منهاج البراعة (الراوندي): ١٢٦/١

[٩٧] – نهج البلاغة: ٣٣/١

[٩٨] – المدخل إلى السنن الكبرى: ١٣٠

[٩٩] – نهج البلاغة: ٣٥/١

[١٠٠] – لسان العرب: (نفج) ٣٨١/٢

[١٠١] – م.ن: (ننل) ٦٤٦/١١

[١٠٢] – م.ن: (علف) ٢٥٦/٩

[١٠٣] – نهج البلاغة: ٣٥/١

[١٠٤] – م.ن: ٣٥/١ – ٣٦

[١٠٥] – ظ: الإمامة والسياسة: ٣٠/١ – ٥٠

[١٠٦] – استراتيجيات الخطاب: ٧٨

[١٠٧] – ظ: م.ن: ١٨٤، وما بعدها

[١٠٨] – نهج البلاغة: ٣٢/١

[١٠٩] – ظ: منهاج البراعة (للراوندي): ١٢٥/١، وهامشها(١)

[١١٠] – نهج البلاغة: ٣٣/١

[١١١] – نهج البلاغة:٣٥/١

[١١٢] – فقه اللغة وسر العربية: ١٢٦

[١١٣] – شرح المفصل: ٣٥٢/٢

[114] – ظ: الأبعاد التداولية في مقامات الحرير: ٦٤

[115] – نهج البلاغة: ٣١/١

[116]– ظ: لسان العرب: (تا) ٣٦٤/١٥

[117] – نهج البلاغة: ٣٤/١– ٣٥

[118] – م.ن: ٣٣/١– ٣٤

[119] – م.ن: ٣٥/١ هامش(١)

[120] – م.ن: ٣٧/١

[121] – م.ن: ص.ن

[122] – ظ: لسان العرب: (شقق) ١٨٥/١٠

[123] – م.ن: (هدر) ٢٥٨/٥

[124] – تاج العروس: (قرر) ٣٨٩/١٣

[125] – نهج البلاغة: ٣٥/١

[126] – لسان العرب: (ضغن) ٢٥٦/١٣، ١٤(صغا)/٤٦١، (صهر) ٤٧١/٤

مكتبة البحث

– القرآن الكريم

– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ د. محمد احمد نحلة/ دار المعرفة الجامعية/ ٢٠٠٢م.

– الأبعاد التداولية في مقامات الحريري/ النذير ضبعي/رسالة ماجستير/جامعة محمد خيضر– بسكرة– كلية الآداب واللغات– قسم الآداب واللغة العربية/السنة الدراسية: ١٤٣٦– ١٤٣٥هـ /٢٠١٤– ٢٠١٥م

– أساس البلاغة/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)/تح/ محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ط١/ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

– استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)/عبد الهادي بن ظافر الشهري/دار الكتب الجديدة المتحدة / بيروت – لبنان/ ط١/ ٢٠٠٤م

– استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي – عليه السلام – (مقاربة تداولية)/ باسم خيري خضير/مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة/ط١/ ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م

– أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره / دراسة شاملة)/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي/ مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات/ ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

– الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)/ لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)/ تح/ الدكتور طه محمد الزيني/الناشر/ مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع (د ت)

– أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – شخصيته وعصره/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي/ دار التوزيع والنشر الإسلامية–– مصر/ط١/ ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

– الانتصار للقرآن/محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ)/تح / د. محمد عصام القضاة/ دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت/ط١/ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

– تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)/تح/ مجموعة من المحققين/ دار الهداية (د ت)

– تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) /محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) و(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩هـ)/ دار التراث – بيروت/ط٢/ ١٣٨٧ هـ

– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن/ عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)/تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف/ الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي(د ت)

– التداولية، البراغماتية الجديدة، خطاب ما بعد الحداثة/ حفناوي بعلي /مجلة اللغة والأدب، العدد(١٧)/ جانفي ٢٠٠٦

– التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)/ د.مسعود صحراوي/ دار الطليعة/ بيروت – لبنان/ ط١/ تموز ٢٠٠٥م

– تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة/ سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ)/تح/ الدكتور عامر النجار/ مكتبة الثقافة الدينية/ط١/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

– التفكير اللساني في الحضارة العربية/د.عبد السلام المسدي/الدار العربية للكتاب/ط٢/١٩٨٦

– الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي/ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/ط٢/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

– رسائل الشريف المرتضى/تقديم وإشراف/ السيد احمد الحسيني/إعداد/ السيد مهدي رجائي/منشورات دار القرآن الكريم/مطبعة الخيام/قم – ايران/١٤٠٥هـ.

– رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدّلائل/ السيد علي بن محمد علي الطباطبائي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم/ط١/د.ت

– السياق وتوجيه دلالة النص(مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)/ د. عيد بلبع/ بلنسيات للنشر والتوزيع– مصر/ط١/ ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م

– شبكة المعلومات العالمية: موقع أهل الحديث، موقع فيصل نور(أسطورة الخطبة الشقشقية).

– شبكة المعلومات العالمية: موقع شبكة رافد، وموقع مؤسسة السبطين،

– شبكة المعلومات العالمية: موقع يوتيوب(سبب التشكيك في نهج البلاغة هو الخطبة الشقشقية/ د.احمد الوائلي)

– شرح المفصل للزمخشري/يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)/قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ط١ / ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م

– الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت ٧٤٥هـ)/ المكتبة العصرية – بيروت/ط١/ ١٤٢٣ هـ

– فاسألوا أهل الذكر/ د.محمد التيجاني/مركز الأبحاث العقائدية/ايران – قم/ العراق – النجف الأشرف/ط١/١٤٢٧هـ
– فقه اللغة وسر العربية/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)/تح/ عبد الرزاق المهدي/ إحياء التراث العربي/ط١/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م
– القاموس المحيط/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)/تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت – لبنان/ط٨/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
– القاموس الموسوعي للتداولية/ جاك موشلر– آن ريبول/ تر/ مجموعة من الأساتذة، والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب/ دار سينترا/المركز الوطني للترجمة – تونس/ السحب الثاني/ ٢٠١٠م
– لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت ٧١١هـ)/ دار صادر – بيروت/ط٣ / ١٤١٤ هـ.
– مجمع الأمثال/ أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)/تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد/ دار المعرفة – بيروت، لبنان (د ت)
– محاضرات في اللسانيات التداولية(محاضرات على الانترنت)/ د.خديجة بوخشة.
– المدخل إلى السنن الكبرى/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/تح/ د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت/(د.ت)
– المستدرك على الصحيحين/أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)/تح/مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/ ١٤١١ – ١٩٩٠
– مصادر نهج البلاغة وأسانيده/السيد عبد الزهرة الحسيني الخطيب/ دار الأضواء/بيروت – لبنان/ط٣/١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م
– المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)/ د.نعمان بو قرة/ علم الكتب الحديث– جدارا للكتاب العالمي/ عمان – الأردن /ط١/١٤٢٩هـ– ٢٠٠٩م
– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب/ دومينيك منقونو/تر/ محمد يحياتن/ منشورات الاختلاف/ط١/ ٢٠٠٥
– معاني القرآن/ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)/تح/ أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/ دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر/ط١(د ت)
– معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)/تح/ عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)/تح/ د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله/ دار الفكر – دمشق/ط٦/ ١٩٨٥م
– المقاربة التداولية /فرانسواز أرمينيكو /تر/ سعيد علوش/ مركز الإنماء القومي/ ١٩٨٦
– المنتخب من غريب كلام العرب/ علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت: بعد ٣٠٩هـ)/تح/ د محمد بن أحمد العمري/ جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)/ط١/١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

– من نثر الدر/اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها/مظهر الحجي/منشورات دار الثقافة في الجمهورية العربية السورية/١٩٩٧م
– منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/ لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)/ تح/ السيد عبد اللطيف الكوهكمري/ الناشر/مكتبة آية الله المرعشي العامة/مطبعة الخيام– قم/١٤٠٦هـ
– نثر الدر / منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (ت ٤٢١هـ)/تح/ خالد عبد الغني محفوظ/ دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان/ط١/ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م
– نثر الدر/ للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي(ت ٤٢١هـ)/تح/ محمد علي قرنه/مراجعة/علي محمد البجاوي/الهيأة المصرية العامة للكتاب (التراث للجميع)(د ت).
– نسيج النص(بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصا)/الأزهر الزناد/المركز الثقافي العربي/ بيروت / ط١ / ١٩٩٣م
– النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) /تح/ طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م
– نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)/ تصحيح: محمد عبده/ دار المعرفة/بيروت – لبنان (د ت)
– يوم قبل وفاة محمد/ محمد حسان المنير/موقع مكتبة الكتب على شبكة المعلومات الدولية